الكورونا .. وإدارة الكارثة الوبائية

نشر في جريدة أخبار الخليج بتاريخ 23 فبراير 2020

بقلم: الدكتور زكريا خنجي

لسنا ممن يهول القضايا والموضوعات، وكذلك لسنا ممن يقلل من شأنها، فالتعامل مع القضايا والموضوعات على اعتبار أنها كارثة تحتاج منا – دائمًا – الى أن نتعامل معها بعقلانية ومنهجية علمية، وكارثة وباء الكورونا لا تختلف عن أي كارثة وبائية مرت على الكرة الأرضية خلال العقود الماضية، فالتعامل مع الكارثة – أيًا كانت – كما أقول لطلابي دائمًا ينبغي أن نتعرف عليها بصورة علمية وأن نتعرف على أسبابها ومسبباتها وما يتعلق بها من معلومات، إذ نحتاج دائمًا إلى المعلومة، فالمعلومات هي الكلمة السحرية التي تساعدنا دائمًا في إدارة الكوارث. ونحن هنا نتحدث عن الكورونا، فما الكورونا ؟ وما الفيروس ؟ وكيف ينتشر ؟ وكيف يمكن مكافحته ؟ وما إلى ذلك من أمور ينبغي أن نعرفها قبل أن نثير وأن نتحدث وأن نسبب الهلع بين الناس عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

فما الكورونا ؟

يُعد وباء الكورونا من الأمراض الوبائية التي تسببها الفيروسات، وفيروس الكورونا تحديدًا هو زمرة واسعة من الفيروسات – كما تشير منظمة الصحة

العالمية – تشمل كل تلك الفيروسات التي يمكن أن تتسبب في مجموعة من الاعتلالات في البشر، وهي تتراوح ما بين نزلة البرد العادية وبين المتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة، كما أن الفيروسات من هذه الزمرة تتسبب في عدد من الأمراض الحيوانية.

وتشير تقارير منظمة الصحة العالمية الى أن فيروس الكورونا هو أحد الفيروسات الشائعة التي تتسبب في إحداث عدوى للجهاز التنفسي العلوي، والجيوب الأنفية، والتهابات الحلق، كما وجد أن أغلب الحالات التي انتشرت خلال العقود الماضية لم تكن خطيرة، فيما عدا ثلاث حالات وبائية، هي: (وباء متلازمة الشرق الأوسط الوبائية MERS-CoV) الذي انتشر في الجزيرة العربية حوالي عام 2012 بسبب الإبل، وكذلك (وباء المتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة SARS) الذي سجلت أول إصابة بشرية به في الصين عام 2002، ومن الجدير بالذكر أنه اعتبر أن الخفافيش هي مخازن طبيعية لهذه الفيروسات، ولقد سجلت منظمة الصحة العالمية حوالي 650 حالة وفاة في الصين/ هونغ كونغ خلال عامي 2002 و2003.

واليوم – في نهاية عام 2019 – تأتينا الكورونا الجديد (COVID-19) من أسواق مدينة ووهان الصينية، التي تضج بكل أنواع الأطعمة الحيوانية التي نعتبرها – نحن – أغذية غريبة مثل الثعابين والخفافيش والكلاب وكل ما يدب على الأرض دبًا، إلا أنها تعتبر من الأغذية الشعبية في الثقافة الصينية.

ولكن مما يذكر أنه في بداية ديسمبر عام 2019 لاحظ أحد أطباء العيون (لي وين ليانغ) وجود أعراض غريبة نوعًا ما على مرضى العيون، فحذر من فيروس غريب ينتشر بين الناس، فطلب من زملائه أخذ الحيطة والحذر وارتداء الملابس الواقية لتجنب العدوى، إلا أن السلطات الصينية سعت لإخفاء الحقائق حتى لا تتأثر التجارة الدولية والاقتصاد والسياحة وما إلى ذلك، فما كان من الطبيب إلا أن يقوم بواجبه وذلك أنه قام بإرسال رسالة تحذيرية عبر وسائل التواصل الاجتماعي ولكن قامت السلطات الصينية بتهديده وإخفاء كل تحذيراته، إلا أن الفيروس كان أقوى من تهديدات السلطات الصينية.

هل فعلاً هو فيروس جديد ؟

يصعب أن نطلق على الفيروسات اسم (كائنات حية) فهي عبارة عن حمض نووي وكبسولة من البروتين وبعض المواد كالكربوهيدرات وما إلى ذلك، والفيروسات لا تتغذى ولا تأكل ولا تتنفس ولا أي شيء من مقومات الحياة، وإنما كل الذي تفعله – ببساطة – أن تضاعف نفسها عبر إدخال حمضها النووي إلى خلايا العائل المصاب بها وبالتحديد على الأحماض النووية للخلايا المصابة، ومن خلال الأحماض النووية للخلية المصابة تتضاعف أحماض الفيروس النووية بطريقة لا نريد ذكرها، ولكنها رائعة الجمال، فسبحان اللّه.

والذي يحدث أن أي تغيير في الحمض النووي للفيروس، أي تغيير حتى وإن كان طفيفًا، فإنه يؤدي إلى بعض التغييرات في الغلاف الخارجي – أو ما عرفناه سابقًا باسم الكبسولة – للفيروس، وهذا التغيير يؤدي إلى استحداث فيروس – نوعًا ما – جديد في تركيب الحمض النووي وكذلك في الغلاف الخارجي. والخطورة في هذا الموضوع تكمن في أن اللقاحات والأمصال السابقة التي صنعت وابتكرت واستعملت واستطاعت أن توقف زحف الفيروس السابق لأنها تمكنت من التعامل مع الغلاف الخارجي والحمض النووي له لا تستطيع أن تتعرف على الغلاف الخارجي للفيروس الجديد فتصبح عديمة الجدوى معه، لأن الحمض النووي والغلاف الخارجي يختلفان بطريقة أو بأخرى عن الفيروس السابق، لذلك يعتبر فيروسًا جديدًا.

ومن الجدير بالذكر أن هذه مشكلة فيروس إنفلونزا وبعض الفيروسات الأخرى التي تحتاج إلى لقاحات وأمصال جديدة بصفة دورية، بحسب كل حالة من حالات الأوبئة.

إدارة الكارثة الوبائية

ربما لم تصل الحالة الوبائية إلى مرحلة الكارثة، وذلك بفضل الجهود الدولية في إدارة الحالة الوبائية، وخاصة بعد أن أعلنت الصين عجزها عن إدارة ومكافحة الوباء، لذلك ظلت في حدود الأزمة الوبائية التي ما زال

بالإمكان السيطرة عليها، شأنها في ذلك شأن (وباء السارس) وغيره من أوبئة الإنفلونزا وما شابه ذلك.

إلا أنها على الرغم من ذلك تحتاج إلى إدارة حتى يمكن التحكم فيها، وذلك من خلال الخطوات الخمسة التالية لإدارة الكوارث، وهي كالتالي: مرحلة الميلاد، ومرحلة النمو والاتساع، ومرحلة النضج، ومرحلة الانحسار والتقلص، وأخيرًا مرحلة الاختفاء، دعونا نتحدث عن هذه المراحل بشيء من التفصيل.

أولاً: مرحلة الميلاد: وهي مرحلة الإحساس بالكارثة أو الأزمة، أو حتى تُعد مرحلة اللازمة أو الكارثة، بمعنى أنه لا توجد أي أزمة أو كارثة إلا إننا نتخذ كل الإجراءات ونضع كل الاستراتيجيات التي يمكن أن نمارسها إن وقعت كارثة أو أزمة. ومن هنا يكون إدراك متخذ القرار وخبرته ومدى نفاذ بصيرته، هي العوامل الأساسية في التعامل مع الكارثة في مرحلة الميلاد، وذلك بناء على نوعية الكارثة التي يتعامل معها أو يفكر في إدارتها.

وفي أزمتنا الحالية (وباء الكورونا) يمكن أن نقوم بالتالي:

1. **بناء مختبرات ومكتبات خاصة للأحماض النووية للفيروسات؛ فأي فيروس حديث يمكن أن يظهر يجب أن يقارن حمضه النووي مع الأحماض النووية الموجودة في المكتب، وهذا يعطي سرعة في إيجاد الأمصال واللقاحات لمعالجة المرضى، وأما الفيروسات الحديثة فإنها – ربما –**

تحتاج إلى وقت أكبر من ذلك، إلا أن هذه المكتبات تسهل وتسرع في التعرف على الفيروسات.

2. **بناء نظام للترصد الوبائي؛ وهذه الأنظمة يجب أن تكون موجودة في الدول وخاصة تلك التي يمكن أن ينتشر فيها الفيروس والدول القريبة، ويتم تفعيل هذا النظام عن طريق مراقبة الأسواق التي تباع فيها الحيوانات البرية من أجل تناولها بصورة مستمرة، تفعيل أنظمة مراقبة وصحة الأغذية وخاصة في المطاعم ومراكز إنتاج الغذاء، فحص البيئات التي تعيش فيها مثل هذه الكائنات الحيوانية الحية، محاولة للبحث عن الفيروس من خلال دراسة الحيوان وبيئته وخاصة الفيروسات التي تنتقل من الحيوان إلى الإنسان، وإن ثبت من خلال المسوحات وجود فيروس وبائي في بيئة ما تعيش فيها تلك الكائنات الحية فإنه يجب التحرك والاستجابة السريعة لعزل البيئة الموبوءة بقدر الإمكان حتى لا ينتشر الفيروس، حتى وإن كانت أسواق لبيع تلك الحيوانات أو مطاعم أو ما شابه ذلك.**

3. **وضع المخططات والاستراتيجيات؛ لا يمكن العمل بعشوائية أثناء إدارة الكوارث الوبائية، وخاصة تلك المتعلقة بانتشار وباء فيروسي، فهذه المخلوقات لا يمكن التنبؤ بها أو بسلوكها، لذلك يجب أن تكون لدى كل دولة خطط واستراتيجيات جاهزة للتنفيذ في حالة انتشار وباء في دولة تبعد عنا آلاف الكيلومترات.**

4. **التوعية والتعليم؛ فوجود تطبيق (Application) على أجهزة التلفون الذكية يسهل كثيرًا – اليوم – التواصل مع الناس، بهدف التوعية والتعليم، والتعرف على المرض ومراحل تطوره وكيفية الوقاية منه، وكل ما يتعلق بالمرض وأبعاده وما إلى ذلك، فإن هذا يساعد بصورة كبيرة على التخفيف من حدة المشاكل والجهل والإشاعات الناتجة عن انتشار الوباء.**

ثانيًا: مرحلة النمو والاتساع: وهي مرحلة حتمية إذ – ربما – نجد أنفسنا والكارثة تطرق أبوابنا، وذلك بإرسال بعض المؤشرات والتنبيهات. ففي هذه المرحلة يتعاظم الإحساس بالكارثة ولا يستطيع متخذ القرار أن ينكر وجودها أو يتجاهلها، ليس ذلك فحسب، وإنما قد تجد آثارها في الواقع الذي نعيش، إذ يمكن أن نسمع أو نتعرف على العديد من الوفيات أو نجد المباني المهدمة أو بعض الأضرار المادية هنا وهناك.

وفي أزمتنا الحالية (وباء الكورونا) يمكن أن نقوم بالتالي:

1. **تفعيل كل برامج الوقاية؛ بعد أن شعرنا بوجود الحالة الوبائية في بعض الدول فإنه ينبغي أن نبدأ في تفعيل الخطط والاستراتيجيات التي تم وضعها مسبقًا، وخاصة تلك المتعلقة بالوقاية، بهدف تطبيق ما يعرف (بالأمن الحيوي) والذي يعني فرض نوع من الاحتياطات الأمنية لوقف دخول الفيروس في البلاد، وذلك من خلال فحص المسافرين سواء القادمين من نفس تلك البلاد الموبوءة أو حتى القريبة منها، أو حتى البلاد التي نعتقد أنها تتعامل معها.**

بالإضافة إلى محاولة لإيجاد اللقاحات والأمصال المناسبة، ومحاولة تلقيح المواطنين والمقيمين في البلاد بقدر الإمكان، إن وجدت.

وفي المناطق التي ينتشر فيها الفيروس يجب التقليل من التسوق، والخروج من المنزل غير المبرر، وما إلى ذلك من إجراءات احترازية بهدف وقف انتشار المرض خارج الحدود المسموح بها.

2. مراقبة الأسواق وبيئات تكاثر الحيوانات؛ وهذا أمر ضروري جدًا، إذ أنها بيئات تتكاثر فيها الفيروسات وخاصة تلك البيئات الرطبة والأسواق المكتظة، بالإضافة إلى وقف تناول الحيوانات التي يمكن أن تعد مخازن للفيروس أو حتى التعامل معها والاقتراب منها. وكذلك بفرض عزل تام (أو الحجر الصحي) على الأسواق التي يتم التأكد من وجود الفيروس فيها، وتعتبر بؤرة لانتشار الفيروس، وكذلك يمكن أن يفرض هذا الحجر الصحي حتى على المناطق المحيطة بالأسواق بما يبعد حوالي 5 كيلومترات، وربما أكثر بحسب المنطقة الموبوءة.

3. تشخيص المرض وعزل المصابين؛ عدم إخفاء المرض حقيقة مهمة، فالإنكار والإخفاء ليس من صالح أحد، لذلك فإنه من الضروري أن نعلن حالة طوارئ في البلاد وتوضيح الأمر للمواطنين، كما يجب ألا نتأخر في هذا الموضوع أكثر من أيام قليلة، فالفيروسات لا تعرف ولا تحسب الأيام فهي سريعة الانتشار والإصابة، فالساعات مهمة في حالة الأوبئة الفيروسية،

لذلك فإنه يجب وضع برامج لعزل المصابين وتحديد أماكن خاصة لعزلهم، كما يجب وضع برامج خاصة لأهالي المصابين وكيفية التعامل معهم.

ثالثًا: مرحلة النضج: وتُعد من أخطر مراحل الكارثة، ففي هذه المرحلة تصبح السيطرة على الكارثة مستحيلة ولا مفر من التصادم والاحتكاك العنيف. وهنا قد تكون الكارثة بالغة الشدة، شديدة القوة تطيح بالمقومات الأساسية والبنية التحتية للبلاد، عندئذ – قد – نحتاج إلى مساعدات خارجية حتى يمكن للبلاد أن تجتاز تلك الكارثة.

وفي أزمتنا الحالية (وباء الكورونا) يمكن أن نقوم بالتالي:

1. **تفعيل برامج التوعية؛ وخاصة عبر (Application) الذي تم استحداثه سابقًا، فمن خلال هذه الوسيلة يمكن للمواطنين أن يعرفوا كل ما يريدون عن الوباء، وبمن يتصلون إن حدث مكروه، والخط الساخن، وكل شيء.**

2. **إبعاد الحيوانات البرية عن الإنسان؛ وخاصة تلك الحيوانات التي تُعد مخازن طبيعية للفيروس، فإن وجدت ميتة في بيئاتها وأماكن تواجدها فإنه ينبغي التخلص منها بطريقة صحية وعدم تركها في العراء.**

3. **تفعيل برامج صحة ومراقبة الأغذية؛ وخاصة الأغذية الحيوانية، وبالتحديد الحيوانات التي تُعد مخازن للفيروس.**

4. **استمرار معالجة المرضى؛ وهذا أمر له أولوية.**

رابعًا: مرحلة الانحسار والتقلص: بعد ذلك تبدأ الكارثة بالانحسار والتقلص، وخاصة الكوارث التي يتم إدارتها بصورة علمية ومنهجية صحيحة، إلا أن بعض الكوارث – ربما – تتجدد لها قوة دفع أخرى، عندما تفشل الإدارة في تحقيق أهدافها وتصبح الكوارث في هذه الحالة كأمواج البحر، موجة تندفع وراء موجة.

وفي أزمتنا الحالية (وباء الكورونا) يمكن أن نقوم بالتالي:

1. **متابعة فرض الحظر على المناطق الموبوءة؛ وخاصة الأسواق والبيئات التي تم التأكد من أنها كانت موبوءة وأنها تحتوي على الحيوانات المصابة بالفيروس، ويمكن إزالة الحظر بصورة تدريجية.**

2. **استمرار فرض نظام الأمن الحيوي أو الحجر الصحي على المناطق الموبوءة؛ وهذا يعني عدم إدخال أي مواد ذات مصدر حيواني أو إخراجه من الأسواق أو من المناطق المشكوك فيها إلا بعد التأكد من خلوها من الفيروس.**

3. **استمرار أخذ عينات من الأسواق وبيئات توالد وتكاثر الحيوان؛ وهذا يعني ألا نهمل وأن نعتقد أن الوباء قد اختفى نهائيًا، وإنما يجب أن نفكر بالعقلية العلمية، فالفيروسات لا تنتهي وإنما يمكن أن تدخل في حالة سبات، ولكنها عندما تتاح لها الفرصة المناسبة للتضاعف فإنها تستغل تلك الفرصة بقدر الإمكان.**

خامساً: مرحلة الاختفاء: وتصل الكارثة إلى هذه المرحلة بصورة طبيعية وخاصة عندما تفقد بشكل شبه كامل قوة الدفع المولدة لها أو لعناصرها حيث تتلاشى مظاهرها وينتهي الاهتمام بها والحديث عنها، إلا أنه من الضرورة الاستفادة من الدروس المستفادة منها لتلافي ما قد يحدث مستقبلاً من سلبيات.

وفي أزمتنا الحالية (وباء الكورونا) يمكن أن نقوم بالتالي:

1. **دراسة الخطط والاستراتيجيات الموجودة في الدولة؛ وهل خدمتنا أم كانت فاشلة أو حتى ناقصة، وهذا لا ضير فيه، وإنما من الخطأ ألا نقر بالخطأ والنقصان في مواجهة الكوارث الوبائية، فإن كانت هذه الخطط والاستراتيجيات تحتاج إلى تطوير فإنه ينبغي أن نقوم بعملية تطوير.**

ويمكن أن يساعدنا في ذلك عمل دراسة مسحية لرضا المواطنين لقياس قدرتنا وكفاءتنا على إدارة الكارثة، فهل كنا على قدر ذلك ؟

2. **وضع البرامج التدريبية وبرامج نمذجة لمواجهة كوارث شبيهة وذلك من خلال ما قمنا به من إدارة هذه الكارثة.**

3. **استمرار مراقبة الأسواق وبيئات تكاثر الحيوانات البرية.**

هذه بعض الأمور البسيطة التي يمكن وضعها في الاعتبار لإدارة كارثة وبائية كانتشار وباء الكورونا في أي دولة كانت، أو أي كارثة وبائية يمكن

أن تحدث مستقبلاً فهي حتمًا آتية، ومن الطبيعي أن هناك أمورًا كثيرة يصعب ذكرها كلها هنا، لضيق المساحة.